مقال حول دور التربية الوالدية في تنمية مشاعر (المحبة) في المنهج النبوي

ايمان سفيان محمد خليل
باحثة دكتوراه في الدراسات الإسلامية/كلية الشريعة
أكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية

ملخص البحث

يكشف هذا البحث عن أهمية المشاعر لدى الوالدين ودورها في تربية مشاعر أولادهم وتعزيزها ويسلط الضوء على مشاعر المحبة من خلال تبيان مكانة المحبة مع توضيح أهم أسس تربية مشاعر المحبة وفق منهج النبي الذي كان نهجه وخلقه القرآن الكريم، ويقدم البحث نموذجاً عملياً من سيرة النبي على تربية مشاعر المحبة وكيفية استثمارها في حياتنا

وتوصي الباحثة بأهمية دراسة جميع المشاعر والإفادة منها من من خلال كافة الوسائل: كتابة الأبحاث، والرسائل العلمية...

الكلمات المفتاحية: التربية , المحبة, المنهج النبوي,أسس,نموذج ,تربية المشاعر

Abstract

The conclusion of this research; This research reveals the importance of the feelings of parents and their role in raising and strengthening the feelings of their children and sheds light on the feelings of love by clarifying the status of love while clarifying the most important foundations of raising feelings of love according to the approach of the Prophet (PBUH), whose approach and creation was the Holy Qur'an. This study also provides a practical example from the biography of the Prophet (PBUH) on nurturing feelings of love and how to invest them in our lives. Overall, the researcher recommends the importance of studying all feelings and benefiting from them through all means: writing research papers and scientific theses.

key words: Education, love, the prophetic curriculum, foundations, model, raising feelings

مقال حول دور التربية الوالدية في تنمية مشاعر (المحبة) في المنهج النبوي

نظرة فاحصة حولنا لواقع المسلمين وحال أولادهم في هذا العصر يلحظ من خلالها المتابع لأحوال المسلمين الفوضى التي تعتري المشاعر وضياعها وتوظيفها في غير بابها الذي وجدت لأجله وقد غاب اهتمام الوالدين في تربية مشاعر أولادهم في عصر طغت فيه المادية وتوجه الوالدان لتلبية حاجات الأولاد من مأكل وملبس ومشرب غافلين عن تغذية أرواحهم والعناية بمشاعرهم وتربيتها وتنمية المشاعر الإيجابية في نفوسهم لذا كان من الواجب إعادة المسلمين إلى جادة الصواب والتوجه لتربية مشاعر الأولاد وصولاً بهم للاتزان المشاعري الذي يعينهم في أداء وظائفهم والتكيف مع مجتمعاتهم ومحيطهم.

وليس أكمل ولا أنسب من المنهج النبوي لتحقيق هذا التوازن وهو الذي لا ينطق عن الهوى والذي ربى لنا جيلاً فريداً فتحت له الدنيا أبوابها لكنه لم ينشغل بها عن الغاية من وجوده .

يجدر بنا أولاً تعريف "المنهج النبوي" وهو: "الطريقة التي انتهجها النبي ﷺ في معالجته لأمر ما".

وسنتناول في هذا المقال أهم السمات للمنهج النبوي في تربية مشاعر المحبة .

المنهج النبوي في تربية مشاعر "المحبة" وتوجيهها.

أولاً. تعريف الحب لغةً واصطلاحاً:

الحب: مصدرٌ مأخوذ من مادة "ح ب ب" التي تدل على اللزوم والثبات، واشتقاق الحب والمحبة مِن أحبَّه إذا لَزِمَه[1].

وحَبَبْتُ فلاناً في الأصل بمعنى: أصبت حَبَّة قلبه، وأحببتُ فلاناً فمعناه: جعلت قلبي مُعرَّضاً لِحُبِّه[2].

واصطلاحاً: المحبة: ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا، وذلك ضربان:

أحدهما: طبيعي: وذلك في الإنسان وفي الحيوان.

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس(26/2).

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (214).

والثاني: اختياري: وذلك يختص به الإنسان[1].

وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه؛ كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة؛ كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقاً، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه[2].

ثانياً: منزلة المحبة وفضلها:

وللحب أو المحبة مكانةٌ مهمة في النفس البشرية التي جبلت عليها، فبها يتقارب الناس ويتعارفون، وبها تدفع العداوات وتستجلب الخيرات.

ويصف أبو عثمان الجاحظ منزلة المحبة فيقول: >ينبغي لمحب الكمال أن يعود نفسه محبة الناس، والتودد إليهم، والتحنن عليهم، والرأفة والرحمة لهم، فإن الناس قبيلٌ واحد متناسبون تجمعهم الإنسانية، وحلية القوة الإلهية هي في جميعهم، وفي كل واحدٍ منهم، وهي قوة العقل، وبهذه النفس صار الإنسان إنساناً.

وإذا كانت نفوس الناس واحدة، والمودة إنما تكون بالنفس، فواجبٌ أن يكونوا كلهم متحابين متوادين، وذلك في الناس طبيعة، لو لم تقدهم الأهواء التي تحبب لصاحبها الترؤس فتقوده إلى الكبر والإعجاب والتسلط على المستضعف، واستصغار الفقير وحسد الغني وبغض ذي الفضل، فتسبب من أجل هذه الأسباب العداوات، وتتأكد البغضاء بينهم.

فإذا ضبط الإنسان نفسه الغضبية، وانقاد لنفسه العاقلة، صار الناس كلهم له إخواناً وأحباباً، وإذا أعمل الإنسان فكره رأى أن ذلك واجب، لأن الناس إما أن يكونوا فضلاء أو نقصاء، فالفضلاء يجب عليهم محبتهم لموضع فضلهم، والنقصاء يجب عليهم رحمتهم لأجل نقصهم فيحق لمحب الكمال أن يكون رحيما لجميع الناس، متحننا عليهم رءوفا بهم، وبخاصة الملك والرئيس، فإن الملك ليس يكون ملكا مالم يكن محبا لرعيته رءوفا بهم، وذلك أن الملك ورعيته بمنزلة رب الدار وأهل داره، وما أقبح رب الدار أن يبغض أهل داره، فلا يتحنن عليهم، ولا يحب مصالحهم"[3].

(1) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني (256).

(2) شرح مسلم، للنووي (14/2).

(3) تهذيب الأخلاق المنسوب له (55).

ويقول ابن القيم رحمه الله: "منزلة المحبة وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله همومٌ وآلام"[1].

وفي أهمية مشاعر المحبة بين الناس وفضيلة إشاعتها بينهم، يقول الراغب: "أحد أسباب نظام أمور الناس المحبة، ثم العدل، ولو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها عن العدل، فقد قيل: العدل خليفة المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة، ولذلك عظَّم الله تعالى المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة، فقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ امَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَـنُ وُدّاً﴾ [مريم: ٩٦] أي: محبةً في القلوب تنبيهًا أنَّ ذلك أجلب للعقائد وهو أفضل من المهابة، فإنَّ المهابة تُـنفّر والمحبة تُؤلّف، وكل قوم إذا تحابوا تواصلوا، وإذا تواصلوا تعاونوا، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمروا، وإذا عمروا عمروا.

ولفضل وقوع المحبة شرعًا شرع الله تعالى اجتماع أهل الملة الواحدة في مساجدهم لإقامة صلاتهم؛ كل ذلك ليتأكد باجتماعهم الأُنس، وليقع بسبب ذلك الود" [2].

ثالثاً: المنهج النبوي في تربية مشاعر المحبة

ولأن هذه المشاعر تعتبر محركاً أساسياً لسلوكاته وتصرفاته، وتربيتها واستقامتها سبب لاستقامة الشخصية وسلوكها درب الصالحين كان الاهتمام بتربيتها واجباً على الوالدين لضمان استقامة أولادهم يقول ابن تيمية رحمه الله: "ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضا عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك.

(1) مدارج السالكين (365/3)

(2) الذريعة الى مكارم الشريعة (257) باختصار.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرةً، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً" [1].

وعليه فقد عني الإسلام أيما عناية بمشاعر المحبة ويظهر ذلك جلياً من تناولها بصور وأشكال مختلفة في أحاديث النبي ﷺ وتكرار ذكرها في غير مناسبة، وفيما يلى تذكر الباحثة المنهج النبوي في تربية المشاعر مُستنبطاً من أحاديث النبي ﷺ:

1. تربية الأولاد على أن المحبة ضروب وأنواع، أعلاها وأفضلها وأهمُّها محبة الله ورسوله ﷺ وهذا المحبة تكون من العبد لله ورسوله ومن الله ورسوله لعباده الصالحين فهي تبادلية.

يشهد لهذا الكثير من الأحاديث نكتفي بذكر بعضها ومنها:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «ما أعددت لها؟». قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: «أنت مع من أحببت»[2]

- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سَرِية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ❖ اللَّهُ الصَّمَدُ ❖ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ❖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، فلمَّا رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فقال: «سَلُوه لأيِّ شيء يصنع ذلك؟». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه» [3]

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مِن أشدِّ أُمتي لي حُباً، ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله» [4]

سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ.[5]

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (92/1).

(2) أخرجه البخاري(6171) واللفظ له، ومسلم (2639)

(3) أخرجه البخاري(7375)، ومسلم (813).

(4) أخرجه مسلم(2832).

(5) أورده القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1216).

وفي كلام عليٍ رضي الله عنه دلالة واضحة على أن النبي الكريم كان يربي صحابته على محبته وأن مقتضى هذه المحبة الاتباع فلا تكون المحبة كاملة ولا حقيقية إذا لم يترتب عليها اتباع الأوامر واجتناب النواهي مستذكرين في ذلك مقام النبوة وأنها تبليغ عن الله سبحانه .

يقول القاضي عياض: فيه أنَّ محبة الله ومحبة نبيه الاستقامة على طاعتهما وترك مخالفتهما، وإذا أحبهما تأدب بأدب شريعتهما، ووقف عند حدودهما وفي حبه لله ولنبيه ولمن أحبه من الصالحين وميله بقلبه إليهم، إنما ذلك كله لله تعالى، وطاعة له وثمرة صحة إيمانه، وشرح قلبه، وهو من أعظم الدرجات وأرفع منازل الطاعات، ومن أعمال القلوب التي الأجر عليها أعظم من أجر أعمال الجوارح، وإثابة الله على ذلك أن رفع إلى منزلة من أحبه فيه، وإن لم يكن له أعمال مثل أعماله، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء. [1]

2.التربية على أن كل محبةٍ بعد حب الله تكون فيه وله وكل ما اتصل بالله ورسوله ارتفع وعلا في منازل المحبة. فالمسلم بوصلته المشاعرية هي الله ورسوله فلا يحب إلا ما يقربه إلى الله وغايته في ذلك نيل محبة الله ورضاه حتى في علاقاته وصلاته بما حوله , ويدلل على ذلك الكثير من الأحاديث منها:

– عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى , فأرصد الله له على مدرجته مَلَكاً. فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا. غير أني أحببته في الله عز وجل.

قال: فإني رسول الله إليك، بأنَّ الله قد أحَبَّك كما أحببته فيه» [2]

يتضح من الحديث أن الغاية من الزيارة لم تكن لعرض من الدنيا زائل ولا منفعة مؤقتة وإنما لحبيه أخاه في الله يعني توثيقاً لصلة المحبة الناشئة بينهما في الله سبحانه.

يقول النووي: في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى، وأنها سبب لحب الله تعالى العبد وإكرامه[3]

(1) إكمال المعلم بفوائد مسلم (8/ 119).

(2) أخرجه مسلم (2567)

(3) شرح مسلم (124/16)

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله يقول يوم القيامة:

أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي. يوم لا ظل إلا ظلي» [1]

فهم قد تحابوا في ذات الله على غير صلات ولا أرحامٍ بينهم ولا منافع دنيوية فاستحقوا هذه الكرامة والمنزلة .

فقوله: "أين المتحابون بجلالي" يعني: الذين يحب بعضهم بعضًا بعظمتي؛ يعني: كان في الدنيا سبب حب بعض الناس بعضًا المال والجاه، أو توقع النصرة، أو غير ذلك، وكان هؤلاء سبب حب بعضهم بعضًا رضائي، ورجاؤهم ثوابي ولقائي[2].

- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار» [3]

في الحديث إشارة واضحة باستخدام أسلوب الحصر والقصر أي لا يوجد سبب للمحبة إلا أنها لله وفيه يترتب عليها حلاوة للإيمان يجدها في قلبه.

3. التربية على أن الحب علامة على الإيمان وهو دلالة يقظة القلب وقد جعل النبي ﷺ الحب أوثق عرى الإيمان وجعله علامة عليه ويدلل على هذا:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: "آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"[4].

فقوله: "آية الإيمان" علامته ودلالته و"حب الأنصار" من حيث كانوا أنصار الدين ومظهريه، وباذلي أنفسهم وأموالهم، وقتالهم الناس كافة دونه علامة ودلالة قاطعة على الإيمان، فمن عرف حق الأنصار ومبادرتهم ونصرهم ومحبتهم له ﷺ أحبهم ضرورة بحكم صحة إيمانه، ومن كان منافقًا لم يسره ما جاء منهم فيبغضهم[5].

(1) أخرجه مسلم (2566).

(2) المفاتيح في شرح المصابيح، للمظهري (5/ 230)

(3) أخرجه البخاري (21) واللفظ له. ومسلم (43).

(4) أخرجه البخاري (3784) واللفظ له. ومسلم (75).

(5) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (2/ 536)

- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلوساً عند النبي ﷺ فقال: >أَوْثَقُ عُرَى الإيمَان أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ [1].

أي أشد الروابط صلة وترابطاً ما كان منها لله وفيه فإذا كانت كذلك فهي بشارة على استمراها ودوامها بدوام الغاية منها .

4.التربية على أن حب الله ورسوله سبب للعصمة من الطرد من رحمة الله واليأس من رحمته

فقد كان من الصحابة الكرام مَن فعل المعاصي ومنها الكبائر لكن حبّه لله ورسوله ﷺ دعا النبي ﷺ لمنع الصحابة مِن لعنه.

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ رجلاً كان على عهد النبي ﷺ، كان اسمه عبد الله وكان يُلقَّب حماراً، وكان يُضحِك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ، قد جلده في الشراب، فأُتِي به يوماً فأمر به فجُلِد، فقال رجل من القوم: اللهم الْعَنْهُ، ما أكثر ما يُؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فو الله ما علمتُ أنه يُحبُّ الله ورسوله» [2]

ومعناه: الذي علمت من حاله أنه محب لله ورسوله؛ يعني: هو محب لله ورسوله، ولكنه يصدر منه هذه الزلة[3]

وفي هذا درس هام لابد للمربين من التنبه له والتنبيه عليه في كيفية التعامل مع المذنب والمخطئ وتربية أولادهم أن الذنب والمعصية والخطأ ليست أسباباً لترك المحبة أو الإقصاء بل من واجباتنا تجاه المخطئ نصحه والوقوف إلى جانبه إلى أن يترك خطأه ويعود للحق والصواب ولأجل هذا كانت المحبة .

5.التربية على الإعلام بالمحبة وإخبار المحبوب، وأنها سببٌ لزيادتها ودوامها

فالتعبير عن مشاعر المحبَّة يرقّق القلوب ويسهم في شيوع مشاعر المحبة في المجتمع ومن الأدلة على هذا:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ، فمر به رجل، فقال: يا رسول الله، إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ: «أعلمته؟». قال: لا، قال: «أعلمه». فلحقه، فقال:

(1) أخرجه أحمد في المسند (18524)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن بشواهده.
(2) أخرجه البخاري (6780).
(3) المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري (4/ 273)

إني أحبك في الله. قال: «أحبك الله الذي أحببتني له» [1]

فيه دليلٌ على استحباب التودد بين المؤمنين واستجلاب محبة بعضهم لبعض بالمهاداة والتواضع والإحسان، فقد جُبِلت القلوب على حُبِّ من أحسن إليها.[2]

وكما قال النبي ﷺ: "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"[3] لكن إذا قال الإنسان بلسانه؛ فإن هذا يزيده محبة في القلب فتقول: إني أحبك في الله.

- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك»، فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [4]

فربط النبي الكريم بين محبته لمعاذ وبين حثه على الطاعة وتوصيته بدوام الذكر فكأنه كلما حافظ على هذا الذكر كان ذلك أدعى لدوام المحبة .

6. التربية على حب الأخلاق الحميدة والصفات الطيبة واستحبابها سبب للعمل بها وداعٍ للتخلق بها.

وكل ما استحبه الشرع حث على فعله ورتب عليه الأجر والمثوبة ومن الأدلة على ذلك:

- عن يَعْلَى بن أُميَّة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبَـرَاز[5]، فصعد المنبر فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «إنَّ الله عز وجل حيي ستير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر» [6]

وإنما كان الله يحب الحياء والستر؛ لأنهما خصلتان يفضيان به إلى التَّخلق بأخلاق الله.[7]

والمراد أنه سبحانه وتعالى يحب اتصاف عباده بهما.

---

(1) أخرجه أبو داود (5125)، والنسائي في السنن الكبرى (9939) وأحمد في المسند (12514) وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(2) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (19/ 395).

(3) أخرجه مسلم (2638).

(4) أخرجه أبو داود (1522) والنسائي (1304) وأحمد في المسند (22119) وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(5) البَراز: اسم للفضاء الواسع.

(6) أخرجه أبو داود (4012)، والنسائي (406) وأحمد في المسند (17968) مختصراً، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(7) الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (1/ 155)

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشجِّ عبدِ القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحِلْم والأناة» [1]

فالأناة: تربُّصه حتى نظر في مصالحه ولم يعجل، والحِلْم: هذا القول الذي قاله الدال على صحة عقله وجودة نظره للعواقب[2]

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، إذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته. وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فليرده ما استطاع، فإذا قال: هاء ضحك منه الشيطان» [3]

معنى المحبة والكراهة فيهما إنما ينصرف إلى الأشياء الجالبة لهما وذلك أن العطاس إنما يكون مع خفة البدن وانفتاح السدد، وعدم الكظة، والتثاؤب إنما يغلب على الإنسان عند امتلاء البدن وثقله وسببه الإكثار من المآكل والتخليط فيه[4].

- عن عامر بن سعد، قال: كان سعد ابن أبي وقاص في إبله. فجاءه ابنه عمر. فلما رآه سعد، قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب. فنزل. فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي" [5]

وحب الله لهذه الصفة في العبد كافٍ للتخلق بها .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» [6].

فحب الله سبحانه للمؤمن القوي حث على التحلي بهذه الصفة والوصول إليها والمسلم يحرص على كل ما يحبه الله .

---

(1) أخرجه مسلم (17)

(2) شرح مسلم، للنووي (1/ 189)

(3) أخرجه البخاري (6223) واللفظ له. ومسلم (2994).

(4) أعلام الحديث، للخطابي (3/ 2225)

(5) أخرجه مسلم (2965)

(6) أخرجه مسلم (2664)

7. التربية على حب الاعتدال والتوسط في العبادات وغيرها

فإذا أحبهما سادا شؤون حياته كلّها وصبغا أفعاله وعباداته ومشاعره، فلا إفراط يُفضي للترك بعد الملل، ولا تَفريط يُفوّت الخير ويُسبّب النُّفرة.

ومن الأدلة على هذا:

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: "أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوما، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه" [1].

ومعنى قوله ﷺ: "أحب إلى الله"؛ أي: أكثره ثوابًا، وأعظمه أجرًا [2].

و"هذا صريحٌ في أنه إنما كان أحب إلى الله لأجل هذا الوصف، وهو ما يتخلل الصيام والقيام من الراحة التي تجم بها نفسه ويستعين بها على القيام بالحقوق"[3].

يقول المناوي: "أحب الصيام" المتطوع به "إلى الله" أي: أكثر ما يكون محبوباً إليه، وبيَّن وجه الأَحبيَّة بقوله: "كان يصوم يوماً ويفطر يوما" فهو أفضل من صوم الدهر لأنه أشق على النفس بمصادفة مألوفها يوماً ومفارقته يوماً"[4]

8. التربية على أن الأصل في الحب جَلْب المنافع والخيرات ودفع الأذى والمضرَّات

فإذا كان عكس ذلك فليس بحب وأن الحب يعني الإيثار وليس الأنانية وحب التملك كما شاع من صور المحبة في هذا العصر، وهذا أمرٌ بالغ الخطورة والأهمية إذ أن هناك من يستغل المشاعر ويستميل القلوب لاستغلال أصحابها وضرهم ومن الأدلة على ذلك:

- عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول وهو على المنبر:

«إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي ابن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما ابنتي بضعة مني، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها» [5].

---

(1) أخرجه البخاري (1131)، ومسلم (1159) واللفظ له.

(2) انظر: رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام للفاكهاني (3/ 468)

(3) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (7/ 56)

(4) فيض القدير (1/ 171)

(5) أخرجه البخاري (3767). ومسلم (2449) واللفظ له.

فكان من صدق محبته صلى الله عليه وسلم لابنته كراهية ضرها وأن يمسها الأذى فكان موقفه الرافض من تزويج علي لابنة هشام بن المغيرة.

- عن عمرو بن الحَمِق الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحبَّ اللهُ عبداً عَسَلَه، فقيل: وما عسله؟ قال: «يُوفِّق له عملاً صالحاً بين يدي أجله، حتى يرضى عنه جيرانه» أو قال «من حوله» [1]

ومعنى: "يوفق له عملا صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه": شبه ما رزقه الله من العمل الصالح بالعسل الذي هو الطعام الصالح الذي يحلو به كل شيء ويصلح كل ما خالطه.[2]

وفيه التربية على إرادة الخير للمحبوب بحثه على فعل الخير ومساعدته عليه .

- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [3]

فلمَّا كان الإيمان يقتضي من كل مؤمن أن يكون ناظرًا إلى نفسه في صورة أخيه، وإلى أخيه في صورة نفسه، من حيث يود أن أخاه أحب له ما يحب لنفسه، تعيَّن عليه هو أنْ يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وكان ذلك مما لا يَطلع عليه أخوه كما لا يطلع هو على ما في نفس أخيه، فكان مما يعامل به كل منهما ربه سبحانه وتعالى؛ فكان ذلك ناشئًا عن الإيمان[4] .

وفيه التربية على إرادة الخير لمن نحب بقدر إرادتنا للخير لأنفسنا وهذا تمام الإيمان الذي من أجله كانت هذه المحبة.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني

(1) أخرجه أحمد (21949)، وابن حبان (342). والحاكم (1275) واللفظ له وصححه ووافقه الذهبي.

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (1/ 64)

(3) أخرجه البخاري (13) واللفظ له. ومسلم (45).

(4) الإفصاح عن معاني الصحاح (6/ 388)

لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته» [1].

وفيه التربية على أن الإيذان بالحرب دلالة المناصرة وكف الأذى عن المحبوب وعدم قبول الضرر له أو السكوت عنه .

- عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا. وإني أحب لك ما أحب لنفسي. لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم» [2]

وفي الحديث التربية على أن الحب سبب للخوف على المحبوب وتحذيره ونصحه.

9. التربية على حب الطيّب من الكلام.

وهذا أمرٌ إلهي، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾ [الإسراء: 53]

والأحسنُ كلُّ كلمة طيبة، فإذا أحب الكلام الطيّب نطق به واعتاده لسانه، ويكون ذلك سبباً لافشاء الكلام الطيب بين الناس، ومن الأدلة على هذا:

- عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاده، وأن أبا ذر عاد رسول الله ﷺ، فقال: بأبي أنت يا رسول الله، أي الكلام أحب إلى الله؟ فقال: «ما اصطفاه الله لملائكته، سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي وبحمده» [3].

فإذا كان هذا أحب الكلام لمن نحب فلابد من تربية الأولاد على تكراره تقرباً واثباتاً لصدق المحبة.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» [4].

وفيه التربية على الحرص على نشر المحبة والعمل بما يسبب ذلك .

(1) أخرجه البخاري (6502).

(2) أخرجه مسلم (1826)

(3) أخرجه مسلم (2731) والترمذي (3593) واللفظ له.

(4) أخرجه مسلم (54)

فالسلام أول درجات البر، وأول خصال التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه يمكن ألفة المسلمين بعضهم ببعض، وإظهار شعارهم المميز لهم بينهم، وإلقاء الأمن. [1]

فأرشد إلى ما يغرس الحب، وهو إفشاء السلام، وذلك لأنه ﷺ نبَّه بأيسر ما يأتي به العبد منها بذلك على ما فوقه[2].

10. التربية على حب الأوطان وحفظ مكانتها في القلوب وإن ساءت الظروف فيها أو أصاب المرء فيها ظلم لكن حب الأوطان من الإيمان ولا أدل على ذلك من موقف النبي الكريم من مكة التي يحي رغم تعرضه فيها لأشد أنواع وصور الإيذاء ومن الأدلة على ذلك:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد. اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصححها لنا [3].

وفي دعائه التربية على حب الأوطان وإرادة الخير لها وأن الحب للأوطان غير مرتبط بمدى انتفاعه منها مادياً.

دعاء الرسول ﷺ أن يحبب الله إليهم المدينة؛ ليحصل لهم بها ألفة؛ ليوافقهم هواها، وتطمئن قلوبهم بتوطنها، كي لا تلتفت قلوبهم إلى مكة، فإن التفات القلوب تشويش الصدور، ومع تشويش الصدور لا يصفو للرجل العيش [4]

- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: "ما أطيبَك من بلدٍ، وأحبَّك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك" [5].

وفي حديثه التربية على حب الوطن والحنين إليه وتعميق الانتماء إليه أن ترك الأوطان بلاحاجة أو ضرورة ليس من المحبة لها في شيء.

(1) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (1/ 304)

(2) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (8/ 62)

(3) أخرجه البخاري (1889) واللفظ له. مسلم (1376)

(4) المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري (3/ 372)

(5) أخرجه الترمذي (3926)، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

11.التربية على أن مشاعر المحبة ليست حِكْراً على البشر بل تنصرف مشاعر المحبة كذلك للأماكن والأزمنة وأنواع من الأطعمة وغيرها وأن المسلم حبه وهواه تبعٌ للنبي الكريم وهو سببٌ كافٍ لمحبتها والارتباط بها ومن الأدلة على ذلك:

- من الأمكنة: حُبُّه لجبل أحد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة: «التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر....حتى قال: فَسِرْنا حتى إذا أشرفنا على المدينة نظر إلى أحدٍ فقال: «هذا جبلٌ يُحبُّنا ونحبه» ثم نظر إلى المدينة فقال: «اللهم إني أُحرّم ما بين لابتيها بمثل ما حرَّم إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم»[1].

وفيه التربية على إنشاء ارتباطات بين المسلم والأمكنة تدفعه لزيارتها فما نزال نزور أحد كلما زرنا المدينة اتباعاً للنبي في محباته.

- ومن الأشياء: الطِّيْب "العطر"؛ عن أنس رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: "حُبِّب إليَّ من الدنيا: النساء والطِّيْب، وجُعل قُرَّة عيني في الصلاة"[2].

وفيه التربية على أن اختيارات النبي الكريم فيما يحب ليست عبثاً فالطيب مما يترك في النفس أثراً طيباً وانطباعاً حسناً عن المسلم النظيف الطيب في أقواله وأفعاله ومظهره.

- ومن الألوان الخُضْرة؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أحب الألوان إلى رسول الله الخضرة[3] .

وهذا الخيار للنبي ليس عبثاً ولولا أفضليته لما كان لباس أهل الجنة

يقول ابن بطَّال رحمه الله: "الثياب الخضر من لباس أهل الجنة، كفى بهذا شرفًا للخضرة وترغيبًا فيها".[4]

- ومن الأطعمة : ذِراعُ الشَّاة؛ عن أبي هريرة، قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم، فتناول الذراع وكانت أحبَّ الشاة إليه، فنَهَس نهسةً، فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[5]

---

(1) أخرجه البخاري (2893) واللفظ له. ومسلم (1365، 1392)

(2) أخرجه أحمد في المسند (12293)، والنسائي في السنن الكبرى (8836) وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5731)، والبيهقي في شعب الإيمان (5916)

(4) شرح صحيح البخارى (9/ 102)

(5) أخرجه مسلم (194).

- ومن الأزمنة: كان أحب الشهور إليه أن يصومه بعد رمضان: شهرشعبان، فعن عائشة رضي الله عنها تقولُ: كان أحبَّ الشُّهور إلى رسول اللهِ ﷺ أن يَصُومَهُ شعبانُ، ثم يَصِلُه برمضانَ[1].

12. التربية على التصريح بالمحبة وتسمية الأشخاص المحبوبين بأعيانهم.

فقد صرَّح النبي ﷺ بحبه لأم المؤمنين عائشة في جمعٍ من الصحابة، وكذلك أُمِّنا خديجة رضي الله عنها، وبحُبِّه للأنصار، ومعاذ وأسامة بن زيد وغيرهم، ممَّا يُدلّل على أن نشر ثقافة المَحبَّة لها بالغُ الأثر في شيوع الوُدِّ واللُّطف في المجتمعات، على خلاف ما اعتاد البعض على فعله من كتمانه لحبه لزوجته أو أبنائه أو غير ذلك عُرفاً وخوفاً مِن أن تعيِّره الناس بذلك.

ومن الأدلة على ذلك:

- عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة».

فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها» [2]

دلَّ الحديث على جواز ذكر مثل ذلك، وأنه لا يعاب على من ذكره إذا كان المقول له من أهل الخير والدِّين، ويقصد بذلك مقاصد الصَّالحين، وإنَّما بدأ النبي ﷺ بذكر محبة عائشة أولًا، لأنَّها محبة جبلية ودينية، وغيرها دينية لا جبلية، فسبق الأصلي على الطَّارئ[3].

- عن عائشة رضي الله عنها أنَّ قريشاً أهمَّهم شأن المخزومية، فقالوا: «مَن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ » [4]. فكان علماً في محبة النبي له ومعروفاً بذلك.

وفيه منقبة ظاهرة لأسامة رضي الله عنه [1]، وذلك لِمَا عَلمتْهُ قريشٌ من أنه حِبُّ رسول الله ﷺ وكانت محبَّة النبي له مشهورة مُصرَّح بها.

---

(1) أخرجه أبو داود (2431)، والنسائي في السنن الكبرى (2671)، وأحمد في المسند (25548) وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(2) أخرجه البخاري (3662)، ومسلم (2384)

(3) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي (6/ 244)

(4) أخرجه البخاري (3732).

(1) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني (14/ 105)

- عن فاطمة بنت قيس أنها قالت: نكحت ابن المغيرة، وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ فلما تأيَّمت خطبني عبد الرحمن بن عوف، في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حُدِّثت؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبني فليُحب أسامة... الحديث» [1].

وفيه التربية على أن متابعة النبي في محبوبته سبب لتحصيل محبة النبي الكريم .

13. التربية على أن للحب تبعات ومسؤوليات.

ومعنى ذلك أنه يتطلَّب تضحيات وبذلاً وكثرة عمل، فليس الحبُّ طريقاً للراحة، فمن أحبَّ فعليه بالبذل والاستجابة حتى وإنْ كان كارهاً، ومن الأدلة على ذلك:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» [2].

وفيه التربية على أن من المسؤولية في المحبة مناصرة من تحب في أحواله وتحمل تبعات هذه المناصرة إما بأن تمنعه من الخطأ أو الظلم وتأخذ على يده أو تدافع عنه وتعبنه بنفسك ومالك وقوتك .

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» [3].

وفيه التربية على أن الاتباع مقتضى المحبة وفي الاتباع الطاعة والاستجابة والبذل سواء أحب ذلك أو كرهه.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله قال: مَن عادى لي وليًّاً فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه.." [4].

---

(1) أخرجه مسلم (2942).

(2) صحيح البخاري (3/ 128)

(3) أخرجه البخاري (7144) واللفظ له. ومسلم (1839)

(4) أخرجه البخاري (6502) .

وفيه التربية على إثبات المحبة ببذل الجهد والأفعال وليس الأقوال فقط فإذا كنت تحب الله فلابد من التزام الطاعات والإكثار من النوافل وبذل الجهد في ذلك.

فأفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى هي الفرائض التي افترضها عليه، وناهيك بفضلها المعاتبة على تركها، والمعاقبة بالإخلال بها، وإنَّ العبد لا يزال يتقرَّب إلى الله بأنواع الطاعات، ويترقَّى من مقام إلى آخر أعلى منه، حتى يحبه الله سبحانه.[1]

14. التربية على أن مشاعر المحبَّة مما يستحق البذل وأنها ممدوحة ومطلوبة، وليست من نافلة المشاعر.

بل تكاد تكون أهمها حتى أن بعض الصحابة طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ولأمه أنْ يُحببهما كلُّ مَن يراهما وفعل النبي ودعا لهما دليل ذلك:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ ، وأنا أبكي. قلت: يا رسول الله! إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد أم أبي هريرة». فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف فسَمِعَتْ أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة! وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت:

يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله! أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً. قال: قلت يا رسول الله! ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب عبيدك هذا يعني أبا هريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين». فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني[2].

(1) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي (2/ 16)

(2) أخرجه مسلم (2491)

وفي الحديث التربية على أن طلب المحبة فطرة وأن شعور المحبة من المشاعر التي تستحق أن تدعو الله في نيلها والحصول عليها وأن حصولها سبب للفرح والشعور بالسعادة والرضا .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: "وهذا الحديث من دلائل النبوة، فإنَّ أبا هريرة مُحبَّب إلى جميع الناس، وقد شهرَ اللهُ ذِكْره بما قدَّره مِن إيراد هذا الخبر عنه، الذي رواه عن رسول الله ﷺ في الإنصات يوم الجمعة عند الخطبة، على رُؤُوس الناس في المحافل الكثيرة المتعددة في سائر الأقاليم، وهذا قدَّره الله ويسَّره مِن شَهْرِ ذِكْره، ومحبَّة الناس له، رضي الله عنه"[1]

15. التربية على أن الطاعات والأعمال الصالحة سبب لدوام مشاعر المحبة وأن المعاصي سبب لضعفها وزوالها.

فلا محبة تدوم بفعل المعاصي ولا زيادة للمحبة في المعصية وأن الذي يحب يخاف الله فيمن يحب ويجنبه الوقوع بالمعاصي أو اكتساب الذنوب وأن الذي نشاهده من فعل المعاصي واقتراف الذنوب والآثام كالعلاقات المحرمة والاجتماعات المحرمة وتبادل سماع الأغاني والتواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي جهراً أو سراً باسم المحبة ليس إلا وهماً وخداعاً ونهايته إلى زوال , فالمحبة لا تدوم إلا في طاعة .

وإذا حصلت جفوةٌ بين الأحباب فليراجع كلٌّ منهما أعماله وطاعاته؛ لمعرفة الخلل الذي تسبَّب بتلك الجفوة، ويدلل على هذا:

– عن رجل من بني سَلِيط، قال: أتيت النبي ﷺ فسمعته يقول: "ما توادَّ رجلان في الله تبارك وتعالى فيفرق بينهما إلَّا بحَدثٍ يُحدِثه أحدهما" [2] .

وفيه التربية على أن المعاصي وانتهاج السبل المحرمة بين الأحباب سبب للجفوة والقطيعة وزوال المحبة.

16. التربية على أن مشاعر المحبة ووجودها بين الناس سبب للطمأنينة والتخفيف من المعاناة.

(1) البداية والنهاية (366/11)

(2) أخرجه أحمد في المسند (20689) وحسَّنه لغيره الشيخ شعيب الأرنؤوط

وذلك أن المحبة وإرادة الخير للمحبوب تدفعه لدفع الضر عنه وتجنيبه الضرر ونصحه بما ينفعه ويرفعه، ولذلك وجَّه النبي ﷺ الصحابة الكرام إلى بثِّ همومهم وشكواهم، والحديث عن رُؤياهم لمن يُحبُّون في دلالة واضحة على ماسبق ذكره، ويشهد على هذا:

- عن أبي سلمة أنه قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني، حتى سمعت أبا قتادة يقول:

وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني، حتى سمعت النبي ﷺ يقول: «الرؤيا الحسنة من اللّٰه، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب. وإذا رأى ما يكره فليتعوذ باللّٰه من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثا، ولا يحدث بها أحدا، فإنها لن تضره» [1].

وفيه التربية على أن المحبة وجدت للتشارك في المسار والتخفيف والمواساة في المضار فإذا سرك أمر فشاركه مع من تحب لتسعدا به معاً.

قوله: "فلا يحدث به إلا من يحب" هذا من أحسن الإرشاد لموضع الرؤيا؛ لأنه إذا أخبر بها من لا يحب ربما حمله البغض والحسد على تفسيرها بمكروه، فقد تقع تلك الصفة وإلا فيحصل له في الحال حزن ونكد في سوء تفسيرها.[2]

- عن أبي ذر، أن رسول اللّٰه ﷺ ، قال: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإنِّي أحبُّ لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرنَّ على اثنين، ولا تولينَّ مال يتيم»[3].

وفيه التربية على حب الخير وكراهة الضر لمن نحب فإذا أحببت إنساناً فاصدق في نصحه وإبعاده عما يضره.

-عن معاذ بن جبل رضي اللّٰه عنه، أنَّ النبي ﷺ أخذ بيده يوماً، ثم قال: "يا معاذ إني لأحبك". فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول اللّٰه وأنا أحبك. قال: "أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دُبر كلِّ صلاة أن تقول: اللهم أعِنِّي على ذِكْرك وشُكرك وحُسْن عبادتك"[4].

(1) أخرجه البخاري (7044) واللفظ له. ومسلم (2261).

(2) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (32/ 137)

(3) أخرجه مسلم (1823).

(4) أخرجه أبو داود (1522)، والنسائي في السنن الكبرى (1227)، وأحمد في المسند (22119) وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

وفيه التربية على أن المحبة تعني التشارك بالخير والدلالة عليه والحث عليه فأشرك من تحب بالأجور للطاعات والأعمال الصالحات ودله عليه وأديما حبكما بالطاعات .

نموذج عملي من التربية النبوية لمشاعر المحبة

مشاعر الحُبّ من أنبل المشاعر وأطيبها وأقدرها على إحداث سلوكات أو تغييرها إذا أحسن المُربّي توظيفها وكانت منضبطةً بشرائع الله، ولا أحسن وأجود عملاً بذلك من المبلّغ عن ربه المصطفى من الخلائق النبي الكريم محمد ﷺ.

وحتى نُقرّب الصورة وتتَّضح المفاهيم ويسهل علينا الاقتداء والانتفاع ممَّا سبق لابد من نماذج عمليَّة من سيرة سيد الخلق أجمعين نبينا وقدوتنا محمد ﷺ.

وفيما يلي سأقدم نموذجاً عن منهج النبي الكريم في تربية مشاعر المحبة :

التربية النبوية لمشاعر الحب:

يقول عبد الله بن هشام: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فقالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ» .[1]

ومعنى هذا الحديث: أنَّ حُبّ الإنسان نفسه طَبْعٌ وحبه غيره اختيار بتوسُّط الأسباب، وإنما أراد ﷺ بقوله لعُمر حُبّ الاختيار، إذ لا سبيل إلى قلب الطّباع وتغْييرها عمّا جُبلت عليه، يقول: لا تصدق في حُبي حتى تَفْدى في طاعتي وتُوثر رضاي على هواك وإنْ كان فيه هلاكك[2].

ودلَّ الحديث على أنَّ محبة النبي ﷺ مقدَّمة على حُبّ النفس وحب كلّ شيء، سواء كانت المحبة لأهل الفضل والمَنْقبة، أو للأهل والذرية.

فإذا تقرَّر هذا، فلابد من بيان منهج النبي ﷺ في تربية شعور المحبة عند الصحابة الكرام من خلال هذا النموذج:

(1) أخرجه البخاري (6632)

(2) أعلام الحديث للخطابي (4/ 2282)

أولاً: في أخذه ﷺ ليد عمر بن الخطاب، أي: إمساكه لها وهو في حضرة جمعٍ من الصحابة الكرام دلالةٌ واضحة على:

1. حبه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ومكانته القلبية لديه، فهو الذي خصَّه بهذا الشرف وأخذ بيده دوناً عمن سواه من الصحابة الكرام، ولهذا الفعل الأثر العظيم في نفس المُتربّي؛ إذ أنه يُشعِره بمكانته ويُهيّؤه لاستقبال التَّوجيه والانتفاع به.
2. وفيه أيضاً: إشارة إلى أثر المُلامسة والمصافحة والإمساك على مشاعر المحبَّة، ففيه تعبيرٌ عن المحبة لعمر من جانب النبيّ الكريم، وفيه دليلٌ على سرعة التأثر بهذا الفعل من جهة عمر، حيث سارع للتَّعبير عن شعور محبته للنبي ﷺ قائلاً: "لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شيء إلَّا نفسي" فجعل حُبه للنبي ﷺ أعظم محبَّة ممَّا سواه ماعدا نفسه.

ولا يخفى على المُربين الأثر العظيم للملامسة في تعديل السلوك، وتحسين لغة التواصل بين الأولاد ووالديهم، وكان من جملة أفعاله ﷺ مع أحفاده أن قبلهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: "مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ"[1] وفي هذا دلالة واضحة على تأثير الملامسة على المتربين.

وهذا كافٍ لدفع المربين إلى التقرب من أبنائهم حقيقةً قرب الملامسة وقرب الشعور، مما يؤهلهم للتأثير في أولادهم ويُهيّؤ الأولاد لاستقبال التَّوجيه وتقبُّله والعمل به.

والذي يلحظ في هذا العصر الجفاف العاطفي في الأسر، وبين الأبناء ووالديهم، فلايكاد أحدهم يُقبِّل ابنه أو يحضنه إلا في عيدٍ أو مناسبة، مع شيوع صور الحب المحرمة والمنحرفة في وسائل الإعلام، وواقع الأولاد المعاش في أسرهم اليوم يفتقدون فيه حب والديهم لهم، وهم في أمسّ الحاجة له، وتكمن أهمية الاكتفاء بهذا الشعور منهم لأن لا يخرجوا باحثين عن مشاعر المحبَّة وإشباعها بصُورِها المنحرفة خارج بيوتهم، وهذا حاصل ومشاهد وأثبته الواقع.

ثانياً: في رده ﷺ على عمر قائلاً: "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك" إشاراتٌ ودلالات ومنها:

(1) أخرجه البخاري (5997) ، ومسلم (2318)

1. لابد من الوضوح والصدق في مشاعر المحبة على اختلاف أشكالها ومراتبها، فحبُّه ﷺ صادق لعمر، ومن لوازمه إيضاح كيفية كماله وتمامه لضمان نفعه ودوامه، فلم يتركه دون تنبيه وايضاح للنقص في مشاعره، بل علَّمه وأرشده كيف يُتمِّم هذا النقص بقوله: "حتى أكون أحب...".

2. أن حقيقة مشاعر المحبة الصافية المتبادلة لا تحكمها الرغبات ولا هوى النفس، بل تكون وفق حال المحبوب والكيفية الصحيحة بحسب رتبة المحبة، بعيداً عن الصور التي تُروّج لها وسائل الإعلام وتفرضها على ذائقة الناس عند اعتياد مشاهدتها، فمثلاً:

يحب الأبناء أصدقاءهم لكن حبهم لوالديهم أكبر وأهم؛ لأن المحبة تستلزم الطاعة والمتابعة، وطاعة والديهم فيها نفعهم في دنياهم وأخراهم، على خلاف طاعتهم لأقرانهم بدافع المحبة وهم أقل خبرة وأقرب للخطأ.

ويحب الأبناء ألعاباً أو أماكن أو أنشطةً لكن لابد من ترتيبها لهم ببيان مراتبها وأهميتها وأثرها، فحبه لنشاطٍ معين لا ينبغي أن يكون أكثر مِن حبه للصلاة، فلا يُفوِّت الصلاة؛ لأنه مشغول بعملٍ يحبه أو لعبة يلعبها.

ثالثاً: وفي جواب عمر للنبي ﷺ: "فالآن والله لأنتَ أحبَّ إليَّ من نفسي" إشاراتٌ ودلالات منها:

1. السرعة في الامتثال، فكان جوابه رضي الله عنه دون تريُّث أو تحيير ولا تخيير؛ دلالة على صدق المحبة وحقيقتها وشعوره بالثقة التامة، والانقياد التام لمحبوبه وهو أجلُّ محبوب ﷺ ، فيما يلحظ في عصرنا أن الآباء لا يكادون يجدون مفراً من نقاش مطول وجدال في بعض المُسلَّمات مع أبنائهم إذا أرادوا توجيههم في سلوك أو فعل، ولعل هذا ناتجٌ عن نمطٍ سادَ لدى الأجيال الحديثة بوجوب الرفض وكثرة الجدل لكل ما هو منسوب لمن قبلهم في محاولةٍ لإثبات الذات ولكن بطرق مغلوطة.

2. أما قول عمر رضي الله عنه: "فلأنت الآن" يقول ابن حجر: "فجواب عمر أولاً كان بحسب الطبع، ثم تأمَّل فعرفَ بالاستدلال أنَّ النبي ﷺ أحبَّ إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى؛ فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب بقوله: "الآن يا عمر" أي: الآن عرفتَ فنطقت بما يجب"[1].

(1) فتح الباري لابن حجر (11/ 528)

وفي هذا دلالة على أن الرجوع للحق أصوب، وترك الحال الخاطئ والسعي لتغييره للأفضل والأقوم من لوازم المحبة.

3. لا بأس بالخطأ في المحبة، فكل نقص فيها يجبر بالبيان والتوضيح، وهذا يرفع قدرها ويجعلها تزكو وتربو، وكل ترفُّع عن النصح فيها والتصحيح سببٌ لنقصها وضياعها، يشهد لهذا تصديقُ النبي ﷺ لجواب عمر حين قال: >الآن ياعمر< أي: الآن استكملت المحبة بأبهى صورها وأصدقها، فجاء جوابه ﷺ بمثابة هدية وجائزة لعمر على سرعة الاستجابة وحُسنها.

وهنا يجدر بنا القول: أن مشاعر المحبة الوالدية تجاه الأبناء تعتريها لحظات فتور وضعف، وهذا مرتبط بالتغيرات التي تطرأ للأبناء جسدياً ونفسياً وعمرياً، ومع شيوع أنماط الحياة الجديدة والترويج لها على أنها الأصح من خلال التمرد على الثوابت، ورفض التوجيه ومحاولات إثبات الذات بالمخالفة لغرض المخالفة، يُغذّي هذا الضخ المستمر والدعوات المتتالية من خلال وسائل الإعلام والتواصل المختلفة، ودعم صور التمرد ومحاولات إشهارها وجعلها قدوة للأولاد، مما يدفعهم للتقليد والتجربة.

والحلُّ في مثل هذه الحالات ليس الابتعاد ولا الهجر ولا الترك ولا كثرة العتاب، بل برد الأبناء للجادَّة بالحب، وموفور الحب والنقاش الهادئ، والحوار الفعال المثمر، والاستماع للأبناء مع حسن الإصغاء لهم، وإذا أحسَّ الأبناء صدق المحبة من والديهم فمهما بعدوا أو قسوا فهم لابد عائدون للحضن الآمن، والحصن المنيع.

في هذا الحديث النبوي الكريم المزيد مما يمكن استخلاصه والإفادة منه في هذا المجال، وحسب الإشارة كافية لتثوير باقي فوائده ومقاصده.